

أوقات الخسارة



السبت بعد الظهر

المراجع الأسبوعية: مرقس ٥: ٢٢-٢٤، ٣٥-٤٣؛ ١ بطرس ٥: ٦، ٧؛ تكوين ٣٧: ١٧-٢٨؛ لوقا ١٦: ١٣؛ رومية ٦: ١٦؛ ١ كورنثوس ١٥: ٢٦.

آية الحفظ: «بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضًا خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الْأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نَفَايَةً لِكُنِّي أَرْبَحَ الْمَسِيحَ» (فيلبي ٣: ٨).

في اللحظة التي أكل فيها آدم وحواء من ثمرة شجرة معرفة الخير والشر، حلت عليهما أول الخسائر،

خسارة البراءة. وحل محل هذه البراءة المفقودة الأنانية، والخصام، واللوم، ورغبة السيطرة والسيادة على أحدهما الآخر.

وبعد السقوط بفترة وجيزة، شهدا أول ضحية عندما أعطيا جلد حيوان ليسترا عريهما. وحُظِر عليهما الوصول إلى شجرة الحياة لتلايأ كلا فيعيشا إلى الأبد، كما خسرا أيضًا بيتهما في جنة عدن، وبعد عدة سنوات خسرا ابنهما هابيل على يد أخيه قايين. وفي النهاية، خسرا أحدهما شريك حياته، وأخيرًا الشريك الذي بقي على قيد الحياة خسرا هو أيضًا حياته. خسائر عديدة جدًا وقعت نتيجةً لقرار واحد.

نعم، نحن جميعًا نعلم حقيقة الخسارة وألمها، وبحس معظمنا بها أعمق إحساس عندما تقع هذه الخسارة على العائلة. ولا عجب، لأن في العائلة تربطنا أوثق الروابط، لذلك يكون للخسارة هناك، بأشكالها المتنوعة جدًا، أقوى تأثيرًا علينا.

إذ نواصل هذا الأسبوع دراسة الحياة الأسرية، سوف ندرسها في سياق أوقات الخسارة المختلفة.

* نرجو التعمق في موضوع هذا الدرس استعدادًا لمناقشته يوم السبت القادم الموافق ١ حزيران (يونيو).

خسارة الصحة

نحن على بُعد آلاف السنوات من شجرة الحياة؛ ونحن جميعًا نشعر بذلك أيضًا، خاصة عندما يتعلق الأمر بصحتنا الجسدية. عاجلاً أو آجلاً، إن لم تقتلنا صدمة ما في عمر صغير، نأتي جميعًا إلى الحقيقة القاسية الخاصة بخسارة الصحة.

وبقدر صعوبة خسارة الصحة، كم أكثر ألمًا تكون إذا وقعت، ليس علينا فقط، بل على قريب من الدرجة الأولى في عائلتنا؟

كم من آباء وأمهات تمنوا، خاصة إذا تعاملوا مع طفل مريض، لو كانوا هم أنفسهم المرضى عوضًا عن الطفل؟ ولكن للأسف، ليس لنا أن نختار ذلك الاختيار.

ما الشيء المشترك في كل هذه القصص؟ مرقس ٥: ٢٢-٢٤، ٣٥-٤٣؛ متى ١٥: ٢٢-٢٨؛ لوقا ٤: ٣٨، ٣٩؛ يوحنا ٤: ٤٦-٥٤.

في كل حالة من هذه الحالات، وبلا شك في حالات أخرى أكثر كثيرًا، كان فردًا من العائلة هو من يلتمس مساعدة يسوع من أجل فردٍ آخر في العائلة.

بلا شك، نحن ندرك أننا نعاني لأننا نعيش في عالمٍ ساقطٍ. فعندما دخلت الخطية إلى العالم، لم يدخل الموت وحسب، بل الألم المزمن، والداء، والمرض أيضًا. وعندما يواجهنا داء مزمن أو ميثوس من شفائه، قد نُصدم أو نشعر بالغضب أو اليأس، أو حتى نرغب في الصراخ: «إلهي، إلهي، لماذا تَرَكْتَنِي؟ أَنْتَ أَبْعَدُ مِنِّي أَنْ تُخَلِّصَنِي، أَوْ تَسْمَعَ صَرَخَاتِي؟» (مزمو ٢٢: ١، الترجمة العربية المبسطة). وكما فعل داود، خير لنا أن نرفع تساؤلاتنا، وغضبنا، ووجعنا إلى الله.

بطرق عديدة، سوف يظل المرض والألم سرًا حتى يُقَهَّر الموت أخيرًا عند مجيء يسوع. ولكن في ذات الوقت يمكننا أن نستخلص حقائق مهمة من كلمة الله. فبينما عانى أيوب من ألم لا يُوصف، اختبر علاقة أكثر حميمية مع الله. فهو يوضح: «قَدْ سَمِعْتُ عَنْكَ بِسَمَاعِ الأذُنِ فَقَطُّ، أَمَّا الآنَ فَقَدْ رَأَيْتُكَ عَيْنِي» (أيوب ٤٢، ٥، الترجمة العربية المبسطة). كما عانى بولس من نوعٍ من الأمراض المزمنة، ولكن كيفية تعامله معها تخبرنا أن المعاناة قد تُعَدُّنا لتعزية الآخرين، وقد تعطينا شفقة نحو الآخرين الذين يتألمون، وقد تمكننا من الخدمة بكفاءة أعلى (٢كورنثوس ١: ٣-٥) - هذا إن لم نسمح لها بتحطيمنا.

سواء كنا نحن أو أفراد العائلة نصارع مع المرض، أي وعود يمكننا المطالبة بها؟ في أوقات مثل هذه، لماذا تعد حقيقة معاناة يسوع ربنا على الصليب مهمة جدًا لنا؟ ماذا يعلمنا وهو على الصليب عن محبة الله التي لا تسقط، حتى في وسط ظروف المرض في عائلتنا؟

فقدان الثقة

نحن جميعاً أناسٌ خاطئةٌ ومختلةٌ وظيفياً، وفي وقت ما سوف نثبت أننا غير جديرين بثقة شخص ما قد وثق فينا. ومَن لم يكن ضحيةً خيانة شخص آخر لثقتنا؟ وبقدر صعوبة فقدان الثقة هذا، إلا أنها دائماً أسوأ عندما نخون (أو يخوننا) فرداً من العائلة. قد يبدو الأمر أسهل أحياناً أن نقلل من خسائرتنا ونهرب عندما نقرر أن العلاقة لا تتكافأ مع جهد إعادة بنائها. بالتأكيد، الأمر ليس سهلاً إذا كان الطرف الآخر فرداً من العائلة، مثل شريك الحياة. بل يمكنك القول أن أحد أهداف الزواج هو تعليمنا الدرس الخاص بكيفية إعادة بناء الثقة حينما تنكسر.

عندما تختل الثقة في علاقة ما، كيف يمكن شفاء وإنقاذ كلاً من الثقة والعلاقة؟
١ بطرس ٥: ٦، ٧؛ ١ يوحنا ٤: ١٨؛ يعقوب ٥: ١٦؛ متى ٦: ١٤، ١٥.

إعادة بناء الثقة المهذومة أشبه برحلة؛ لا بد أن تسير فيها خطوةً فخطوةً. وتبدأ الرحلة باعتراف صريح بالجرح واعتراف بالحقيقة، أيًا كانت الإساءة وأيًا كان المسيء. عندما يكون الزنا سبب الخلل، يبدأ الشفاء عندما يعترف الخائن. وكونه جزءاً من عملية الشفاء، لا بد وأن يصحب الاعتراف صراحةً كاملةً من جهة الخائن. ولا يجب أن يظل أي شيء مستور، وإلا، عندما يُكتشف (وهو سيُكتشف)، سوف يدمر الثقة التي أُعيد بناؤها. وفي ثاني مرة تُنقُض الثقة، يصبح شفاؤها أصعب من أول مرة تُقُضت. إعادة بناء الثقة يتطلب وقتاً وصبراً. حيث كلما كانت الإساءة خطيرة، طال الزمن التي ستتطلبه لإصلاحها. فتقبَّل حقيقة أنه أحياناً ستشعر وكأنك تتحرك خطوتين للأمام وثلاث خطوات للخلف. ويبدو يوماً ما وكأن هناك أمل في الغد، وفي اليوم التالي ستشعر وكأنك تركض بعيداً. ومع ذلك، قد تمكن العديد من الناس من إعادة بناء علاقتهم المتهدمة بل وخلق زواج أعمق وأكثر حميمية ورضاءً.

أي مبادئ في شفاء الزواج يمكن أن تستخدم في حالة الأنواع الأخرى من الثقة المنتهكة؟ في الوقت ذاته، ما هو الموقف الذي، وإن وُجد غفراناً، نتعدم فيه الثقة، بل ولا يجب أن نتواجد؟

تابع «فقدان الثقة»

طريقة أخرى تُفقد الثقة من خلالها هي العنف الأسري. بقدر لا يمكن تصوّره، تكشف الأبحاث أن المنزل هو المكان الأوحَد الأكثر عنفًا في المجتمع. فالعنف الأسري يصيب جميع أنواع العائلات، بما في ذلك البيوت المسيحية. والعنف هو إساءة من أي نوع - لفظية، أو جسدية، أو عاطفية، أو جنسية، أو إهمال مقصود أو غير مقصود - يرتكبها واحد أو أكثر من أفراد العائلة في حق آخر.

يحتوي الكتاب المقدس على قصصٍ عن العنف العائلي، حتى في وسط شعب الله. ما هي أفكارك ومشاعرك بينما تقرأ هذه الأعداد؟ في رأيك، لماذا حُفِطت هذه القصص في الكتاب المقدس؟
تكوين ٣٧: ١٧-٢٨

٢ صموئيل ١٣: ١-٢٢

٢ ملوك ١٦: ٣؛ ١٧: ١٧؛ ٢١: ٦

السلوك المسيء هو اختيار واعٍ من شخصٍ ما لممارسة سُلطته وسيطرته على آخر. ولا يمكن تفسيره أو تبريره بإدمان الكحوليات، أو التوتر، أو الحاجة لإشباع الرغبات الجنسية، أو الحاجة للسيطرة على الغضب بشكل أفضل، أو أي سلوك يقوم به الضحية. فالضحايا غير مسؤولة عن جعل المسيء يسيء. ولكن المسيؤون يشوهون المحبة ويحرفونها لأن «المحبة لا تصنع شرًا» (رومية ١٣: ١٠). قد يسهّل العلاج المتخصص من إحداث تغيير في سلوك المسيء، ولكن فقط إذا كان الشخص يتحمل مسؤولية سلوكه ويسعى لهذه المساعدة. ولأولئك الذين يسكبون أنفسهم أمام حضوره، يقدر الله أن يفعل أكثر جدًّا ليساعد المسيئين على وقف الإساءة، وعلى التوبة عن طباعهم وسلوكهم، وعلى تقديم التعويضات بكل طريقة ممكنة، وعلى إحتواء صفات المحبة الإلهية لشفاء قلوبهم ولمحبة الآخرين (قارن أفسس ٣: ٢٠).

حاول أن تتخيل نفسك في مكان شخص ما سبب له العنف صدمة نفسية. أي كلام من كلمات القبول والعزاء والرجاء تود أن تسمع؟ لماذا يعد من المهم أن نوفر الأمن والقبول والاهتمام بدلاً من إسداء النصائح حول كيفية التعايش مع المسيء؟

٢٩ أيار (مايو)

الأربعاء

فقدان الحرية

الله وحده يعلم عدد الملايين، بل المليارات، من الناس الذين يعانون من شكل أو آخر من أشكال الإدمان. وإلى هذا اليوم، لا يزال العلماء لا يفهمون تمامًا ما الذي يسببه، مع أنهم أحياناً يقدرّون فعلاً أن يروا الجزء الموجود في دماغنا الذي تقع فيه الشهوات والرغبات. ومع ذلك، وللأسف، العثور على أماكن ذلك الإدمان بأنواعه، لا يعني تحريرنا منه الإدمان صعبٌ على الجميع، وليس على المُدمِن فقط. حيث تعاني أفراد العائلة جميعاً - الآباء والأمهات، والأزواج، والأطفال معاناة عظيمة عندما يكون أي فرد من العائلة واقفاً في قبضة قوة لا يبدو وكأنه قادراً على الإفلات منها. العقاقير، والكحول، والتبغ، والمقامرة، والمواد الإباحية، والجنس، وحتى الطعام - ما يجعل من هذه الأشياء أنواعاً من الطبيعة الاعتيادية والمستمرة لاستخدامها أو إساءة استخدامها. فأنت غير قادر على الإقلاع عنها مع أنك تعلم أنها تضرّك. وفي حين أنك تستمتع بحرية اختيارك، تصبح عبداً لأي كان ما تدمنه، وهكذا تخسر حريتك بالفعل. يقدم بطرس تفسيراً بسيطاً لما هو الإدمان وتناججه: «يَعْدُونَهُمْ بِالْحَرِيَّةِ، بَيْنَمَا هُمْ بِكَامِلِهِمْ عَبِيدٌ لِلْفَسَادِ، فَإِلْإِنْسَانُ مُسْتَعْبَدٌ لِمَا يَسُودُ عَلَيْهِ» (٢ بطرس ٢: ١٩، الترجمة العربية المُبسّطة).

ما هي الأشياء التي قد تقود الناس إلى الإدمان؟ لوقا ١٦: ١٣؛ رومية ٦: ١٦؛ يعقوب ١: ١٣-١٥؛ ١ يوحنا ٢: ١٦.

الخطية والإدمان ليسا بالضرورة الشيء ذاته. حيث أنك قد ترتكب خطية أنت غير مدمن لها، مع أنها في الغالب جداً قد تتحول إلى إدمان. ولذلك كم بالأحرى أن نُوقِف الخطية، من خلال قوة الله، قبل أن تتحول إلى إدمان. وبالطبع، الحل الوحيد والدائم للخطية ومشكلة الإدمان هو من خلال نوال قلباً جديداً. «فَالَّذِينَ يَنْتَمُونَ إِلَى الْمَسِيحِ يَسُوعَ، قَدْ صَلَبُوا الْجَسَدَ مَعَ الْأَهْوَاءِ وَالرَّغَبَاتِ الشَّرِيرَةِ» (غلاطية ٥: ٥)

٢٤، الترجمة العربية المُبسطة). كما يوضح بولس للرومانيين معنى الموت عن تلك الطبيعة الخاطئة المُدمنة كي نحيا للمسيح (رومية٦: ٨-١٣)، ومن ثم يضيف: «بَلِ الْبَسُو الرَّبَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ، وَلَا تَنْشَغِلُوا بِإِشْبَاعِ طَبِيعَتِكُمْ الْجَسَدِيَّةِ بِشَهَوَاتِهَا» (رومية ١٣: ١٤، الترجمة العربية المُبسطة).

مَن لم يختبر صراع الإدمان شخصياً، سواء في ذواتنا نحن أو في الآخرين، بل وربما في أفراد العائلة؟ كيف يمكنك مساعدة الناس على إدراك أنه إذا كانوا بحاجة بعد لطلب التدخل المختص، وإن كانوا مسيحيين، فهذا لا يعد اعترافاً بالفشل الروحي؟

٣٠ أيار (مايو)

الخميس

فقدان الحياة

نحن، كوننا بشر، نعلم حقيقة الموت. فنحن نقرأ عنه، ونراه، بل وقد نكون اقتربنا من مواجهته بأنفسنا.

اقرأ ١ كورنثوس ١٥: ٢٦. كيف يوصف الموت، ولماذا يوصف هكذا؟

مَن، بعدما خسر شخصاً عزيزاً، لم يختبر بنفسه عظمة العدو الموت؟ ومن الناحية الأخرى، فإن «كل شيء على ما يرام» مع الأموات. لأنهم إذا أغمضوا عيونهم في الرب، وفي خلال ما يبدو لهم وكأنه لحظة، يقامون إلى عدم موت. «إن الموت بالنسبة إلى المؤمن هو أمر زهيد.... والموت للمسيحي ما هو إلا رقاد، فترة سكون وظلام. فالحياة مستترة مع المسيح

في الله، «فَعِنْدَمَا يُظْهَرُ الْمَسِيحُ، وَهُوَ حَيَاتُنَا، عِنْدَئِذٍ تَظْهَرُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً مَعَهُ فِي الْمَجْدِ» (روح النبوة، مشتهى الأجيال، صفحة ٧٤٥).

كلا، إن الأحياء، خاصة الأصدقاء وأفراد العائلة الباقين، هم من يختبرون الألم والحزن الحقيقيين التابعين للموت. والواقع هو أن الحزن هو استجابة طبيعية واعتيادية للخسارة. فهو المعاناة العاطفية التي نختبرها عندما يُفقد شيء ما أو شخص ما نحبه. تختلف مراحل الحزن من شخص لآخر، ولكن عامة تخوض معظم الناس في مراحل عديدة. أول ردة فعل لموت شخص عزيز، وأكثرها شيوعاً، هي الصدمة والإنكار، حتى عندما يكون الموت متوقفاً. حيث أن الصدمة هي حمايتك العاطفية من الانسحاق المفاجئ بالخسارة، وقد تدوم من شهرين إلى ثلاثة أشهر. وقد تخوض أيضاً في

وقت تستحوذ عليك فيه باستمرار أفكارٍ عن عزيزك، حتى في أثناء المهام الإعتيادية واليومية. وغالبًا تتجه المباحثات إلى خسارتك أو عزيزك. وهذه الفترة قد تدوم من ستة أشهر إلى سنة.

مرحلة اليأس والاكتئاب هي فترة طويلة من الحزن، قد تكون أكثر مرحلة ألمًا وأطول زمنًا على الشخص الحزين، خلالها تتقبل حقيقة خسارتك تدريجيًا. وفي خلال هذه المرحلة، قد تختبر

مجموعة من المشاعر، مثل الغضب، والذنب، والندم، والحزن، والتوتر. والهدف من الحزن ليس التخلص من جميع آلامك أو ذكريات خسارتك. وفي مرحلة الشفاء الأخيرة، تبدأ تشعر باهتمام متجدد بالأنشطة اليومية والعمل بصورة طبيعية يومًا بعد يوم.

أي أفكار معزية تجدها في النصوص التالية؟ رومية ٨: ٣١-٣٩؛ رؤيا ٢١: ٤؛ ١كورنثوس ١٥: ٥٢-٥٧.

٣١ أيار (مايو)

الجمعة

لمزيد من الدرس: لقد عانى الكثير نتيجةً لإدمانهم. وأصبحوا عبيدًا لرغباتهم وخسروا أموالهم، ووظيفتهم، وصحتهم، وحریتهم. ولكن جاء يسوع ليمنحنا العتق من الخطية ومن جميع أشكال إدماننا، «فَإِنْ حَرَّرَكُمُ الْإِنُّ فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَارًا» (يوحنا ٨: ٣٦). كما وعد يسوع بأنه سيكون معنا دومًا (متى ٢٨: ٢٠؛ إشعياء ٤٣: ٢)؛ ولذلك، لا يتعين علينا أن نشن هذه الحرب بمفردنا. في الحقيقة، لا بد أن نتذكر أن المعركة للرب (١صموئيل ١٧: ٤٧)، وهو يَعِدُ بالنصرة (١ بطرس ١: ٣-٩). واليوم يمكنك أن تبدأ في طريق النصر على أي إدمان وتنال الحرية التي ترغبها والتي يريدنا الله لك. وهذا لا يعني أنك لن تتعثر، وهذا لا يعني أنك، أحيانًا، قد تسقط أيضًا. ولكن الأخبار السارة هي أنك ما دمت لم تفقد الرجاء في الرب، فهو لن يفقد الرجاء فيك. ونعم، ليس هناك ما يخزي في طلب الدعم المتخصص أيضًا. فمثلما يقدر الرب أن يستخدم طبييًا ليساعدك في المشاكل الصحية، يقدر أن يستخدم استشاري متخصص أيضًا ليساعدك للتخلص من الإدمان.

«عندما تحيطنا الصعاب والتجارب، يجب أن نهرب إلى الله وأن نتوقع بثقة نوال عونٍ منه الذي هو قدير على أن يخلص وقادر على أن يحرر. ولا بد أن نطلب بركات الرب إذا أردنا نوالها. فالصلاة هي واجب وضرورة؛ ولكن ألسنا نهمل الحمد؟ ألا يجب علينا أن نقدم الشكران مرات أكثر لوأهب جميع بركاتنا؟ نحن نحتاج لأن نزرع الإمتنان. يجب علينا مرارًا وتكرارًا أن نتأمل ونعدد بركات الله، ونحمد اسمه القدوس ونمجده، وإن كنا نمر بأوقات حزن وإبتلاء.» (Ellen G. White, *Selected Messages*, book 2, p. 268).

أَسْئَلَةُ لِلنَّقَاشِ:

١. أي دور يلعبه الغفران في حالة فقدان الثقة وفي شفاء علاقة منهزمة؟
متى ٦: ١٢-١٥؛ ١٨: ٢١، ٢٢. «المحبة... لَا تَحْفَظُ سِجِلًا لِلْإِسَاءَاتِ» (١ كورنثوس ١٣: ٥، الترجمة العربية المبسطة).

٢. ما هي فائدة تأمل بركات الله وتعدديها بينما نمر بأوقات حزن وإبتلاء؟

٣. ما هي الطرق العملية التي يمكن لعائلتك الكنسية، كوحدة واحدة، استخدامها لمساعدة أولئك الذين يصارعون مع أي نوع من الخسارة؟